مكارم الأخلاق

حسن الخلق وأهميته في حياة المسلم

د. عبدالحليم بسم الله
الجامعة السلفية بنارس الهند

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فحسن الخلق له فضل كبير ومكان عظيم في نفوس الناس ونصوص الشرع المتين، وهو صفة من صفات الأنبياء والرسل والصديقين والصالحين، به تُنال الدرجات، وتكسب الحسنات، ينبغي أن يتحلى به جميع أفراد المجتمع ليعيش الناس في أمن وأمان، وسلامة واطمئنان، وسأتحدّث عن هذا الموضوع في نقاط آتية:

أولا: تعريف حسن الخلق لغةً واصطلاحًا:

الخلق في اللغة: هي صفة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال(١).

وفي الاصطلاح: قال الحسن البصري رحمه الله: "هوالكرم والبذلة والاحتمال"(٢).

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: "هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى"(٣).

وقيل لعبد الله بن المبارك رحمه الله : أَجْمِلْ لنا حسن الخلق في كلمة. فقال: "ترك الغضب"(٤).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "حسن الخلق: اختيار الفضائل وترك

---

(١) معجم لغة الفقهاء (ص ١٩٩)
(٢) جامع العلوم والحكم (ص ١٨٢)
(٣) المصدر نفسه.
(٤) جامع العلوم والحكم (ص ١٤٥).

الرذائل"(١).

وجمع بعض أهل العلم علامات حسن الخلق؛ فقال: «هو أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى. كثير الصّلاح، صدوق اللّسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزّلل، قليل الفضول، برّا وصولا وقورا صبورا شكورا، رضيّا حليما، رفيقا، شفيقا، لا لعّانا ولا سبّابا، ولا نمّاما، ولا مغتابا، ولا عجولا، ولا حقودا ولا بخيلا، ولا حسودا، بشّاشا هشّاشا، يحبّ في الله، ويبغض في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق»(٢)

والشريعة الإسلامية قد دعت المسلمين إلى التحلي بمكارم الأخلاق وتنميتها في نفوسهم، وهي أحد الأصول الأربعة التي يقوم عليها دين الإسلام وهي: الإيمان، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، ولذا نالت العناية الفائقة والمنزلة العالية في كتاب

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦/ ٥٧٥)
(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٧٠)

الله عز وجل وسنة رسوله، والأخلاق الكريمة تدعو إليها الفطر السليمة، وعقلاء العالم مجمعون على أن الصدق والوفاء بالعهد والجود والصبر والشجاعة وبذل المعروف أخلاق فاضلة يستحق صاحبها التكريم والثناء.

وقد أثنى الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٤).

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عزوجل بعثه إلى الأمة لإتمام مكارم الأخلاق وإكمالها ليسود فيهم الصدق والأمانة، والجود والكرم، والعفو والمحبة، والرأفة والرحمة وغيرها من العادات الحسنة والأخلاق الفاضلة. فقد قال صلى الله عليه وسلم: إنما بعثتُ لأتمّمَ صالح الأخلاق. (٥)

(٣) سورة ن : ٣
(٤) سورة آل عمران: ١٥٩
(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٨٩٥٢) وحسّنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٥)

قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله قوله: "لأتمّم صالح الأخلاق" يدخل في هذا المعنى الصلاح والخير كله، والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل، فبذلك بعث ليتمّمه، وقد قالت العلماء: إنَّ أجمع آيةٍ للبرّ والفضل ومكارم الأخلاق قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (١)"(٢)

وقد عدّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم صاحبَ حسنِ الخلقِ من أفضل الناس كما روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحّشا وكان يقول:إن من خياركم أحسنكم أخلاقا)(٣)

وقد أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أن يتحلى المسلم بمكارم الأخلاق حيث قال: اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن. (٤)

والأخلاق أساس قيام الحضارة الإنسانية، وجّهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الوصية إلى أمر فيه صلاح حياة الفرد واستقامة نظام المجتمع، ألا وهو معاملة الناس بما يحب الإنسان أن يعاملوه به من الخير، حتى يصبحَ المسلمُ أليفًا، يُحبُّ الناسَ ويُحبونه، ويُكرمهم ويُكرمونه، ويُحسن إليهم ويُحسنون إليه، وهكذا كل فرد في المجتمع يقوم بواجبه راضيًا مطمئنًا، فتستقيمُ الأمور وتسودُ القيم وتقوم الحضارة.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقوله صلى الله عليه وسلم: «وخالق الناس بخلق حسن» هذا من خصال

(١) سورة النحل: ٩٠

(٢) التمهيد (٢٤/ ٣٣٢).

(٣) صحيح البخاري (٣٥٥٩) وصحيح مسلم (٢٣٢١).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه حديث رقم (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح. وحسّنه أيضا الألباني.

التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيرا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنه -يعني معاذ بن جبل رضي الله عنه- كان قد بعثه إلى اليمن معلّما لهم ومفقّها وقاضيا، ومن كان كذلك، فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيره مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم، وكثيرا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته وإهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدا لا يقوى عليه إلا الكُمّل من الأنبياء والصديقين(١).

ثانيا: فضائل حسن الخلق:

ولحسن الخلق فضائل كثيرة وفوائد عديدة من أهمها:

١-أنه علامة لكمال الإيمان

عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً (٢)

٢-أنه يدرك به العبد درجة الصائم القائم

صاحب الخلق الحسن يحصل على الأجور العظيمة، والدرجات الرفيعة نتيجة حسن خلقه وتعامله مع الناس، كما جاء في الحديث: إن المؤمنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصائمِ القائمِ. (٣)

٣-أنه أثقل شيء في الميزان

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَا مِنْ شَيْءٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ اَلْخُلُقِ (٤)

٤-أنه يحصل به قرب النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه حديث رقم (٤٦٨٢) وحسّنه الألباني.

(٣) أخرجه أبوداود في سننه حديث رقم (٤٧٩٨) وصحّحه الألباني

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم (٢٠٠٣) وصحّحه الألباني

أحسن المسلمين خلقاً هو أقرب الناس مجلساً إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم: إنَّ من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا(١).

٥- فيه الاقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام

قال الله عز وجل مخاطبا للمؤمنين: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٢).

وفي حسن الخلق اقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام في هديه وسمته وتعامله مع الناس، لأنه صلى الله عليه وسلم كان مثالًا وأسوةً حسنةً في أخلاقه وتعامله، ووصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حينما سئلت عن خلقه بقولها: كان خلقه القرآن، حيث إنه مثل للرحمة، والرفق، والتواضع، والأمانة، والصدق، والحلم، والتسامح في أجمل صورها وتجلياتها في الحياة، ولذلك وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز بصاحب الخلق العظيم.

٦- أنه وسيلة النجاح في الدعوة إلى الله

حسن الخلق من أهم الأسباب والوسائل التي تؤدّي إلى نجاح مهمة الدعاة إلى الله تعالى، فالداعية إلى الله لا يحصد ثمار عمله إلا إذا توافرت عنده الأخلاق الحسنة التي ترغب الناس في الإسلام، وتحببهم بكل ما دعت إليه الشريعة الإسلامية من القول والسلوك والعمل، ولذلك أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بحسن الخلق في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (٣)، كما بين الله سبحانه عاقبة الخلق السيئ في قوله: (...وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...)(٤).

٧-أنه من أسباب دخول الجنة

حسن الخلق من أهم أسباب دخول الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم (٢٠١٨) وصحّحه الألباني
(٢)سورة الأحزاب: ٢١
(٣) سورة الأعراف: ١٩٩
(٤) سورةآل عمران : ١٥٩

سُئل النبي عليه الصلاة والسلام عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: تقوى الله، وحُسْنُ الخُلُقِ (١)

ففي هذا الحديث بيان واضح أن المسلم الذي يتحلى بمكارم الأخلاق وحسن الخلق يدخله الله الجنة، وبالعكس من كان سيئ الأخلاق، فيؤذي جيرانه وعشيرته بيده ولسانه وأعماله يكون مصيره النار والعياذ بالله، كما ثبت في قصة المرأة التي كانت تؤذي جيرانها بلسانها مع كثرة صلاتها وصيامها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله: إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال:"هي في النار" قال: يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال: "هي في الجنة"(٢).

ثالثا: فوائد حسن الخلق:

لحسن الخلق فوائد عديدة ومتنوعة ومن أجلّها ما يلي:

(١) حسن الخلق من أفضل ما يقرّب العبد إلى الله تعالى.

(٢) إذا أحسن العبد خُلُقَه مع النّاس أحبّه اللهُ وأحبّه النّاسُ.

(٣) حسن الخلق سبب في رفع الدّرجات ومحو السيئات.

(٤) حسن الخلق يدلّ على سماحة النّفس وكرم الطّبع.

(٥) حسن الخلق يحوّل العدوّ إلى الصّديق.

رابعًا: أدعية حُسن الخُلق:

لكي يصل الإنسانُ إلى هذه المرتبة الإيمانية لابد من التضرع لله بالدعاء والسؤال فقد كان النبي يسأل الله تعالى حسن الخلق كما روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه صلى الله عليه

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم (٢٠٠٤) وحسّنه الألباني

٢(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (٩٦٧٥) وحسّن إسناده الشيخ شعيب وزملاؤه.

وسلم كان يقول: اللهم أحسنتَ خَلْقي فأَحْسِنْ خُلُقي(١).

وفي دعاء الاستفتاح الطويل الذي أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه أنه كان صلى الله عليه وسلم يقول: وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ(٢).

هذه بعض الفضائل لحسن الخلق وفوائده الدينية والدنيوية، فعلى المسلم أن يتحلى بها ليبلغ أفضل الدرجات في الدنيا وأعلى الجنات في الآخرة، ولاسيما العلماء الذين يقومون بتدريس أبناء المسلمين وتربيتهم في المدارس والجامعات، والدعاة الذين يقومون بإرشاد الناس وتوجيههم إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، هم أولى الناس إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والأوصاف الحميدة لأنهم ورثة الأنبياء في نشر التوحيد ومنع الشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

أدعو الله عزوجل أن يصلح أحوالنا ويوفقنا بالتحلي بمكارم الأخلاق، ويجنبنا من الرذائل والمنكرات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

***

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم (٣٨٢٣) وحسّن إسناده الشيخ شعيب وزملاؤه.
(٢) صحيح مسلم (٧٧١)